الخلفية الثقافية وأثرها على المقاومة العسكرية في بلاد المغرب القديم

Cultural Background and its Impact on Military Resistance in The ancient Maghreb

محمد حشلاف*

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2 – الجزائر العاصمة

hachelefmohamed14@yahoo.fr

ويزة أيت عمارة

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2 – الجزائر العاصمة

ouizaaitamara2000@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 تاريخ القبول 2021/05/28 تاريخ النشر 2021/07/05

ملخص:

تتناول هذه الدراسة أهمية الخلفية الثقافية في التأثير على المقاومة العسكرية، وهذا من خلال صقل الشخصيات والجماعات والقادة العسكريين المتزعمين لهذه المقاومات من جهة، ونشر الوعي السياسي في مجتمعات الشمال الإفريقي القديم من جهة أخرى، فبرزت ببعدها القومي، وكانت من وراء استمرار هذه المقاومات واستحكامها، ومن اجل توضيح هذا المقصد تنولنا شخصيتين وجماعة يوغرطة ثم تاكفاريناس وأخيرا جماعة الدوارين.

* المؤلف المراسل

الكلمات المفتاحية: الخلفية الثقافية؛ بلاد المغرب القديم؛ المقاومة؛ الرومان؛ قبيلة المزالمة.

Abstract: This study focuses on the importance of the cultural background in its impact on military resistance through, on the one hand, the formation of personalities, groups and military leaders who lead these resistances, and on the other hand, the spread of political awareness in North African societies at the time. This military resistance was highlighted with its national dimension by being at the origin of the persistence and consolidation of these resistances.Thus, in order to clarify this intention, we approached two personalities, the group of Jugurtha, that of Takfarinas and finally the group of the Circumcellions.

key words: Cultural background; The ancient Maghreb; Resistance; Romans; Musulamii tribe.

مقدّمة:

إن المتأمل لتاريخ المغرب القديم وبالأخص للمقاومة العسكرية في شمال إفريقيا للتواجد الأجنبي يتأكد من حقيقتين هما استمرارية المقاومة وعدم تسليم وقبول السكان المحليين للأمر الواقع من جهة[1]، ووجود خلفية ثقافية حركت الوعي لدى البعض ممن حملوا لوائها واخلطوا للغازي حساباته وإعادة ترتيبها من جديد من جهة أخرى، والتي لم يتطرق لها الباحثون وخاصة المنتمين للمدرسة الكولونيالية، وهم متأثرون بشدة بحرفية نصوص المصادر الأجنبية التي لم تنصف هذه المقاومات ووضعتها في خانة البربرية المتوحشة المارقة على عملية التحضر، وهذا ما يبديه جل المؤرخين ومن بينهم الكاتب اللاتيني

سالوستيوس كاشفا عن حقيقة الشعب الروماني قوله: "الجيتول والليبيون هم السكان الأوائل لإفريقيا، أقوام يتميزون بالغلظة في الطباع ومتوحشون، يتغذون على لحوم الحيوانات الضالة و يرتعون كالماشية على الأعشاب، لا قوانين لهم ولا عادات ولا يخضعون لأي شكل من أشكال التنظيم البشري ، لا مأوى لهم ولا مساكن، ينتقلون على غير هدى، يبيتون أينما تدركهم ظلمة الليل، ..."[2]

هذا ما دفعنا أن نأخذ هذا البحث من وجهة الخلفية الثقافية، باعتبار أن جل الدراسات المتصلة به مرتبطة بالأحداث الحربية أكثر، ولذا سيكون إضافة للدراسات السابقة التي ألمت بالجوانب الأخرى كالاقتصادية أو الاجتماعية، ونعطي صورة متكاملة عن دوافع المقاومة وآفاقها، كما يجرنا الأمر إلى دراسة موضوعية ومنصفة، بعيدة عن كل تعصب أو خلفيات نابعة من أحكام مسبقة.

ويفضي بنا كذلك إلى الوقوف على حقيقة علمية تاريخية مفادها أن التكوين الثقافي لقادة وزعماء المقاومة المشار إليها كان له بالغ الأثر في صقل شخصيتهم العسكرية والسياسية واكبر مظهر دال على ذلك هو عدم جهلهم بما كان يحدث بدوائر حكمهم.

أولا: شخصيات وجماعات محورية في المقاومة

سنتناول في هذا المطلب كل من الثائرين يوغرطة وتاكفارناس لما لهما من اثر في مقاومة الاحتلال الروماني، وهذا من حيث المنشأ ودور البيئة في صقل شخصيتيهما، بالإضافة إلى جماعة الدوارين التي أبرزت البعد الاجتماعي للمقاومة.

أ- يوغرطة

ولد يوغرطة في حوالي عام 160 ق.م3، علما بأننا لا نملك معلومات كافية عن طفولته إلا ما جاء في كتاب سالوستيوس المعنون "حرب يوغرطة"، بالرغم من المآخذ التي أبداها جل الباحثين باعتبار الكاتب لم تكن نيته نقل الحرب بقدر ما كان هدفه فضح طبقة النبلاء ومنها تبرير فشله في فيما اسند إليه من مناصب كان آخرها عام 46 ق.م كمدبر لأمور إفريقيا الجديدة، وهو سليل عائلة من العامة[4]، لكن ما يهمنا في الأمر هو ما أظهره سالوستيوس من خصال القائد البربري وما اتصف به من حنكة ورباطة جأش وإقدام لا نظير لهم، وهذا منذ نعومة أظفاره، حيث يذكر ذات المؤرخ عن يوغرطة :" منذ صغره، بدا يوغرطة متميزا بقوته الفائقة، وجماله، وخاصة بالطاقة الكامنة في شخصيته، لم تفسده حياة البذخ والترف، إنما كان مولعا بما آلفه بنو جلدته، كركوب الخيل، والرماية، والتسابق مع أقرانه، حيث كان يحقق التفوق عليهم دائما، دون أن يؤلب على نفسه الآخرين الذين أحبوه، كما كان يقضي جل وقته في الصيد، وهو أول من يصيب طريدته سواء أكان من الأسود أو حيوانات أخرى..."[5]، كل هذه الخصال وغيرها يؤكده اسمه "**يوغرطان**" أي أعظمهم[6]، ولعلنا هنا نستعرض ما شب عليه الشاب المناهض للوجود الروماني، سواء ما رضعه من ثدي قبيلته فكان الفارس المقدام المتمرس على حمل السلاح، وخاصة رمى الرمح الذي كان البربر قد تفوقوا فيه وبرعوا في استخدامه في الحروب، كما وظف هذا الأخير لاصطياد فرائسه التي شكلت هاجس للنوميد سواء في افتراسها للبشر أو جعل تربية الماشية من الأمور المستعصية، فكانت هذه اللعبة من اخطر الهويات التي مارسها يوغرطة[7]، وقد شهد له العدو بشجاعته قبل الصديق، كما يبدو مما أظهره سالوستيوس من رسالة سيبيون الإميلي للملك النوميدي مكيبسا والتي فحواها :"لقد اظهر عزيزك يوغرطة في معركة نومانس قيمة كبرى وقد أبلى فيها بلاء حسنا، وأنا متيقن بالسعادة التي تغمرك بهذه الشهادة اتجاهه، خدماته جعلتني أكن له كل التقدير

والمودة، كما أنا متيقن بالشعور نفسه لدى مجلس الشيوخ والشعب الروماني، وباعتباري صديق لك، أهنئك، لديك ابن أخ جدير بك وبجده ماسينيسا."[8]، من فحوى الرسالة تتضح نية سيبيون ومن ورائه روما في التدخل في ولاية نوميديا، كما تظهر مخاوف الرومان من قوة مكيبسا المتصاعدة بما أقدم عليه من إصلاحات، إن في الميدان العسكري أو الاقتصادي وما أنشأه من تحصينات في العاصمة كيرتا من قلاع وحصون وقصور فاخرة، وأمنها بعشرة ألاف فارس وعشرون ألفا من المشاة حسب ما جاء به سترابون [9]، ولم يرق لمكيبسا عودة يوغرطة سالما من الحرب بالإضافة إلى رسالة سيبيون التي اثنت على الشاب النوميدي في معركة نومانس.[10]

ثقافة يوغرطة أهلته للقيادة، فكان العالم بما يدور في نفوس رعياه، وعارف كيف يتسلل إلى قلوبهم ويكسب ودهم، اجتمع فيه حسن الخليقة واتقاد الذهن، متمرسا في إدراك نقاط ضعف خصومه واستغلالها.[11]

ب– تاكفاريناس

يصف تاكيتوس تاكفاريناس بالنوميدي الفار من الجندية والمتمرد على الجيش الروماني، حيث كان في الخدمة من بين الفرق المساعدة، ويظهر قدرة هذا الشاب اليافع الغر على تطويع أبناء الأوراس المتشردين ممن تعودوا على قطع السبيل على الناس والاسترزاق من السرقة[12]، وهنا ما يدل على وجود فكرتين احدها هي عقدة التفوق لدى الرومان بوصف السكان المحليين بالمتشردين والخارجين على القانون بنعتهم قطاع طرق، ومن جهة ثانية لا ينكر تاكيتوس على الإطلاق ما ألم به البربري المجند بصفوف الجيش الروماني واستفادته من ذلك وتوظيف هذا الخبرة العسكرية فيما بعد ضد نفس الجيش الذي حقق عليه القائد النوميدي انتصارات لم تتصور روما حصولها[13]، والحق ما شهدت به الأعداء، ولم يقتصر في إدارة الجيش على ما خبره تاكفاريناس حينما انتظم في الجيش الروماني بل اتضح من بعد حسن التدبير لما اتسعت دائرة الحرب بإنشائه وحدات صغيرة

خفيفة يسهل عليها الحركة ومباغتة العدو إلى جانب إبقائه فرق نظامية ضاهت الجيوش الرومانية في ميدان التسليح ولها مهمة المجابهة[14]، ومن هنا تتضح مدى قدرة تاكفاريناس على المزج بين ما أعطاه الجيش الروماني من خبرة في تنظيم الجند دون الاستغناء عن الأساليب المألوفة لدى السكان الأصليين وهي حرب العصابات الملائمة لطبيعة المنطقة.

وكأن تاكفاريناس قد انتظم في الجيش الروماني إلا من اجل تعلم فنون القتال وقد أجاد طرق الحرب، كما أن انتمائه لقبيلة المزالمة الشجعان قد ورثوه منها ولربما تكون قسوة المناطق التي كانوا يجبونها من الأوراس والصحارى التونسية[15] قد صقلت أقواما لا تخيفهم فلول من الجند الرومان، كما خبر مثلما خبرت قبيلته بطبيعة المنطقة مما اكسبه حق الحركة والتنصل و المباغتة، ولربما هذا من أسباب طول الثورة التي قادها تاكفاريناس، ولم يقضى إلا بمعية بني جلدته الذين انظموا تحت لواء الرومان عندما لبى بطليموس الدعوة.[16]

اجتمع لدى تاكفاريناس أيضا ثقافة الحرب النفسية والدعاية المغرضة وهذا ما يبينه تاكيتوس عن الحيل التي وظفها في شحذ النفوس ورفع الهمم و كسر عقدة الخوف لدى النوميد قوله:"بث تاكفاريناس شائعة أن روما على وشك الانهيار بفضل شعوب قد جعلت قوتها هباء وبقايا، وبالتالي فهي مجبرة على الرحيل من هنا شيئا فشيئا."[17]

ج– جماعة الدوًارين

وقع جدل بين معظم الباحثين حول ماهية الدوارين (Circumcelliones) فالكلمة اللاتينية المركبة من جزأي: (Circum) بمعنى "دائر حول" والجزء الثاني: (Cella) معناه "مستودع المؤن"[18]، ووظف المصلح للدلالة على أنهم فئة عاصية وتتشكل من قطاع طرق بدورانهم حول المخازن الرومانية ونهبها.

أما أوبطا الميلي فيعرف حركة الدوارين حسب ما جاء عند العود محمد الصالح على أنها عصابات متمردة تتكون من الشباب يحومون من حول المزارع وبالذات على مستودعات الحبوب لسبلها من محتواها و نهبها، وينعتهم بأبشع الألقاب كالصعاليك وقطاع الطرق، ولعل هذا يندرج ضمن خطة ممنهجة من الكنيسة الكاثوليكية لتشويه سمعتهم أمام المجتمع الذي استعطفهم حركتهم لما تحمله من أمل في التخلص من الضيق المسلط عليهم ولعل المصطلح المناسب لؤلئك الشباب هو ثورة الريفيين.[19]

ولابد من الإشارة هنا أن جماعة الدوارين يمثلون جزءا من الانشقاق الدوناتي، التي ناهضت الكنيسة الكاثوليكية التي سلمت أمرها للسلطة الرومانية بعدما جعلتها الدين الرسمي لها، مما أفضى إلى ملاحقة والتضييق على جماعة الدوارين ومن ذلك قانون هنوريوس[20] عام 412 م الذي يحدد الغارمات والعقوبات على الدوناتيين[21]، والذي احدث التقارب بين الدوناتية والدواريين هو التحالف بين الكنيسة والدولة، كما لابد من الإشارة أن هتان الحركتان بقيت مستقلتين وأحيانا متنافرتين حتى عام 347 م، واقتصر التقائها و تعاونهما على النطاق المحلي ودون التدبير له أي وليد الصدفة لا أكثر.[22]

ومن جهة أخرى يشير القديس أوغسطين[23] الذي زامن مدة طويلة من تاريخ الحركة، وخصص جزءا مهما من كتاباته للتنديد بهم، يعرفهم فقط من الاشتقاق اللغوي لا أكثر، تاركا المجال مفتوح لكثير من اللغط في حقهم، على أن المصطلح يعني الجناح العسكري في الحركة الدوناتية[24] لضرب مصالح روما ومن مثلها أو ساندها من الجناح الكاثوليكي في الولاية الإفريقية، لكن بعضهم يرى مثل العالم الانجليزي فرند أن ما قصده أغسطين ليس المخازن لكن "أضرحة الشهداء الريفية" المتواجدة في بوادي نوميديا وموريطانيا، وبما أن الدوارين هم من الدوناتيين فقد كانوا يزرون هذه الأضرحة للتبرك[25]، كما وظفت اللغة البونيقية في المجادلات مع الدواريين[26]، غير أن جل المختصين يعتبرونها حركة شعبية مثلت الثورة الاجتماعية ضد الوضع الاقتصادي المتردي بسبب النهج الذي فرضته الطبقة

الارستقراطية ومعاونوها في المغرب القديم[27]، كما أن الكاثوليك اعتبروا حركة الدوارين جزءا لا يتجزأ من حركة الدوناتين المنشقة عنهم، وأنهم جنود الدوانتية المسلطة على الكنيسة الكاثوليكية[28]، وحسب ذات المصادر ما جاء في كتابات الكاثوليك أن الدوارين تسموا بعد ألقاب دينية منها القديسين وعساكر المسيح والمناضلين، وأنهم كانوا يرغبون في الاستشهاد ولو بالانتحار.

ولابد من الإقرار بتواصل الديانة المحلية التي عبرت وبشكل لا يجانبه الزيف، على وجود مقاومة دينية تمثلت في ديمومة مراسيم الدفن على الطريقة الليبية في مقابر شبيهة بالدولمان، أو حانوت وتحت جدار، ولم تنقطع عبادة الملوك المحليين ومثال ذلك المنحى الذي اتخذته عبادة يوبا حتى أقلقت الأساقفة المسحيين، كما وجدت عبادة الآلهة البونيقية في الأرياف فعبد ليليوس في مادوروس وجورو بالقرب من كيرتا[29]، وبذلك لم يكن للديانة الرومانية حظ في إفريقيا غير تلك التي مثلت استمرارية للأهلة المحلية، فكان كل من الإلهتين ساتورنوس وكايليستيس قد تقبلهما السكان المحليين فانتشرت عبادتهما من لبدة حتى يول (قيصرية–شرشال) ومن الساحل إلى دواخل الصحراء، وهذا لسبب بسيط أن هذه الآلهة مثلت استمرارية الآلهة المجودة بالشمال الإفريقي، فمثلا الإلهين جوبتر وساتورنوس الذين استمدا روحهما من بعل–حمون، والآلهة كايليستيس من الآلهة تانيت، وهي ما يسميها المختصون بالمقاومة الصامتة.[30]

ثانيا: نوميديا بعد ماسينيسا

اتخذت المقاومة بعدما انتقل ماسينيسا إلى عالم الأموات عام 148 ق.م اتجاها وطنيا معادي للتواجد الروماني، وقد شكل لروما متاعب وعرقلة لعملية التوسع بالمنطقة[31]، خاصة بعد أن تجلت للعيان نوايا روما بالمغرب القديم بعدما دكت عاصمة الإمبراطورية قرطاج عام 146 ق.م، فدشن الرومان بذلك عهدا استعماريا طويلا للشمال الإفريقي[32]، ورغم الانتصارات الرومانية التي حققها القادة الرومان سواء على الموريطانيين

والموزلاميين والكثولينيين والجرامنتيين ما يظهر عدم الرضوخ التام لسلطة المحتل الروماني بشكل نهائي وقطعي.[33]

أ- حرب يوغرطة

على العكس من العاهل ماسينيسا فقد كان تحت إمرة القائد يوغرطة جنود نظاميين، لكن أثناء الحروب تستنفر القوات التابعة للقبائل الحليفة[34]، مما يوحي بأهلية الشاب النوميدي أن يكون قائدا متميز له القدرة على تكوين كيان سياسي يشابه ما كانت عليه المجتمعات الراقية في زمانها.

وعلى ما يبدوا أن يوغرطة كان من يوم إدراكه لما يجري حوله، صمم على أن لا يترك لروما المجال لتهنئ بمد السيطرة على الكيان النوميدي، فقد صد التوسع الروماني القائم على الاستغلال بمد اليد على أجود الأراضي وانتهاج أسلوب الاستنزاف والقضاء على الثروة الغابية ومن ثم إفقار الشعب، ولذلك فإن انتفاضته الممتدة من 112-105 ق.م هاته تدخل في خانة المقاومة القومية.[35]

لم يرضي يوغرطة المسار الذي اتخذه تقاسمه الحكم مع عزربعل، للمولاة التي أظهرها للرومان فتخلص منه بعد ست سنوات من إشراكه في إدارة نوميديا، وعلى النقيض من ذلك فقد برزت سياسية يوغرطة التحررية نتيجة لنية روما بالمنطقة، وهذا ما يظهر من خلال خطابه على جيشه بحضور صهره بوخوس :"إن الرومان هم أعداء كل شعوب العالم، وهم قوم ظالمون، غاية في الجشع"[36]، ولعل أهم أسباب طول مدة أي ثورة يرجع بمدى اثر القيادة على من يحتضن هذه المقاومة، ومن هنا يمكننا الجزم على أن شخصية يوغرطة هي احد أهم العوامل في استمرار الثورة لمدة سبع سنوات متتالية، غير أن الدسيسة التي دبرتها عبقرية سولا في تأليب صهره الملك بوكوس ويكيد له بكل دناءة في تدبير القبض على يوغرطة عام 105 ق.م.

ب– ثورة تاكفاريناس

يرجع الباحثون أسباب الثورة التي قادها تاكفاريناس إلى قطع السبل على قبيلة المزالمة التي ينتمي لها القائد المتمرد بمد خط الليمس الرابط بين خليج سرت في الشرق ومعسكر حيدرة بمحاذاة تبسة غربا، مما قلص من حركة القبيلة التي كانت تعتاش من الرعي، لم تكد روما تلتقط أنفاسها حتى اشتعلت ثورات امتدت على طول المدة من نهاية حرب يوغرطة مرورا بكل من حرب يوبا الأول وما كان من قلاقل أثنائها وبعدها بين القادة الرومان (العامة والأشراف)، ووصولا إلى ثورة الجيتول التي استغرقت ثلاث سنوات من 3 م إلى 6 م قتل فيها الكثير من القادة العسكريين الرومان وحقق الجيتول مكاسب إقليمية امتدت إلى الشمال.[37]

ولسنا هنا من اجل استعراض كل تفاصيل ثورة تاكفاريناس بل غايتنا هي مدى إسهام الخلفية الثقافية في التأثير على قيادة المعارك من جهة، ومن جهة ثانية التأثير في المحيط الذي يحتضن الثورة ومدي الاستجابة التي تحققها مسببات الثورة، ثم نرجع إلى عوامل الإخفاق التي تبدوا أنها لم تكن لتحدث لولا توظيف القنصل دولابيلا للمتعاونين من أبناء منطقة أوزيا التي مثلت القاعدة الخلفية للثوار، والمعروفة بمظاهرها الطبيعية الوعرة من الوديان العميقة والغابات الكثيفة والتي يلتجأ إليها تاكفاريناس وجنده من الثوار للاحتماء بها بعد كل عملية حربية[38]، وكان المشهد يتكرر مرات ومرات باستعمال القادة والسكان المحليين في استدراك الوجود الروماني من التهديد المحدق به وهذا لربما ديدن الاستعمار في كل أزمانه وأماكنه.

ج–ثورة الريفيين

نتيجة العجز الذي بدا واضحا على السلطة الرومانية في الاحتفاظ بالمكاسب الترابية التي حققتها في الشمال الإفريقي، وكذلك هيبتها جراء المظالم المتلاحقة على السكان المحليين بسبب تفاقم الضرائب التي باتت تِؤرق الأهالي و تثقل كاهلهم، تمردت

المقاطعات التابعة لها أملا في الانفصال عن السلطة الرومانية، ومن مظاهر الانفصال بروز قابلية المجتمع البربري المتأثر بالمسحية للتمرد والعصيان على سلطة روما لصالح الدوناتية التي وظفت جماعة الدوارين كطلائع ثورية[39]، ولم تقتصر عمليات الثوار الريفيين حسب ما جاء لدى الكنسية الموالية للسلطة الرومانية في مهاجمة الكنائس واغتيال رجال الدين الكاثوليك بل تعدته إلى حماية المدينين والعبيد، وعلى ما يبدوا أن هذه الأعمال كانت تثير الفوضى، وتقصد الإطاحة بمنظومة اجتماعية واقتصادية قائمة على الاستغلال وإفقار الشعب[40]، وكنتيجة لذلك حدثت عدة معارك منها تلك التي جرت سنة 374م بين الكنيسة المتحالفة مع جيش الإمبراطورية ضد الدوناتية والثوار الريفيين[41]، كما نجد ظهور هذه الحركة قد عادت إلى مقارعة النظام الروماني وحلفائها من الكنيسة، في ثورة فيرموس (372-375م).[42]

حتى وإن كانت المسيحية قد مثلت في بدايتها ملاذ وخلاص الطبقات الكادحة التي تلهفتها أمام تمسك النبلاء بالتراث الوثني الذي حاولت تلميع سمعته بإدخال تحسينات بالجمع بين الفلسفة والدين، كما مارست الارستقراطية الوثنية سياسية استئصاليه ضد المسيحية واعتبروها حركة هدامة، وما تبعها من تصفيات بشعة كالتي حصلت عام 64 م بعد حرق روما وعام 96 م في عهد دوميتيانوس وعهد ترجانوس وماركوس اورليوس، ولاحتوائها تبنت القيادة الرومانية للدين المسيحي على يد قسطنطينوس الأكبر، ووظفت بذلك المسيحية لأغراض ضيقة فثارت ضدها مذاهب من بنيات أفكارها لتصحيح المسار ومنها الدوناتية التي تطور نضالها إلى أن اتخذ طابع الثورة الاجتماعية وبقي تأثيرها متواصلا في الشمال الإفريقي إلى غاية الغزو الوندالي عام 429 م[43]، بتنامي خطر التهديدات الداخلية والخارجية لجأت روما إلى سياسة المهادنة لزعماء القبائل النوميدية والمورية[44]، وهذا وان دل على شيء إنما يدل على قوة هاته الحركات التصحيحية من جهة أو الانفصالية من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة على أن من مميزات هذا الصراع الذي قسم إفريقيا إلى معسكرين احدها يتبع الكنيسة الكاثوليكية الرسمية والأخر الدوناتنين المنشقين باعتبارهم أعداء للإمبراطورية، كون معظم المنضوين تحت لواء هذه الحركة من الأهالي قد البس هذا الصراع بالصبغة العرقية بالإضافة إلى طابعه الديني. [45]

خاتمة:

أسفرت المقاومة التي تزعمها القادة العسكريين أصحاب الخلفيات الثقافية المختلفة عن مجموعة من النتائج في مختلف الميادين أهمها: التغيرات في التركيبة السياسية والجغرافية للكيانات القائمة في بلاد المغرب القديم، يضاف إلى ذلك انقلاب موازين القوى واتصافها بالمد والجزر بين الأطراف الفاعلة في الصراع القائم بالمنطقة بين كتلتين مختلفتين تماما في التركيبتين العرقية والثقافية، والاهم من كل ذلك أن المقاومة بأبعادها الثقافية مثلت استمرارية للمجتمع البربري، على أن الحقيقة التي حفظها تاريخ المنطقة هي عدم استتباب الأمن والاستقرار طيلة أربعة قرون التي استغرقها التواجد الروماني.

الهوامش:

1-محمد الصغير غانم، بعض من ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي (ثورة تاكفاريناس نموذجا)، حولية المؤرخ، الجزائر، العدد الأول، 2002، ص..15

2-Salluste, La guerre de Jugurtha, XVII, trad. Charles Durosoir, Paris, 1865.

3 - محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومه، الجزائر، 2013، ص.205.

4- بلعي حفناوي، طبقات الأدب النوميدي الإفريقي خمسة آلاف عام من الثقافة في الشمال الإفريقي، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2016، ص.119.

5-Salluste, Op.cit, VI.

6- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص.91.

7-Haouaria Kadra-Hadjadji, Jugurtha un berbère contre Rome, Troisieme édition, Barzakh, Alger,2005, p.47.

8-Salluste, Op.cit, IX.

9-Strabon, Géographie, XVII, 3,13, Trad. A. Tradieu, Paris, 1867.

10-Haouaria Kadra-Hadjadji, Op. Cit, p.67.

11- بلعلي حفناوي،المرجع السابق، ص.127.

12-Tacite, Annales, II, 52, trad. J. L. Burnouf, Paris 1859.

13- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص.56،55.

14- محمد الصغير غانم، مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم، الجزء الأول، دار الهدى، عين مليلة، 2010، ص.211.

15- بلعلي حفناوي، المرجع السابق، ص.180.

16- محمد الصغير غانم، بعض من ملامح ثورات التحرير... ، ص.24.

17-Tacite, Op.cit, XXIV.

18- محمد المبكر، شمال إفريقيا القديم حركة الدّوارين وعلاقتها بالدوناتية 305م-429م، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2001، ص.85.

19- العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الطبعة الأولى، 2010، ص.37.

20- من مواليد 9 سبتمبر 384، ابن الإمبراطور ثيدوسيوس (379-395)، لقبه والده بأغسطس، بعد موت والده تقاسم الحكم مع أخيه أركاديوس من 395 إلى 408، ونصيبه القسم الغربي من المملكة، كان ضعيف الشخصية لدرجة أن القائد الوندالي ستيليشو كان يمارس وصايته عليه، ثم الجنرال القوطي الذي نهب روما عام 410 ألاريك، ثم أتى دور الجنرال الروماني فلافيوس، توفي عام 423، تاركا الإمبراطورية الغربية ضعيفة أمام هجمات البرابرة ومغتصبي الحكم. لاطلاع على الموضوع انظر: محمد المبكر، المرجع السابق، ص.87.

21- محمد المبكر، المرجع السابق، ص.87.

22- شارل أندري جوليان، ذتاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ص ص.301،300.

23- من مواليد عام 354 م بتاغاست (سوق أهراس) وينتمي للعصر الذهبي لآباء الكنيسة، تلقى تعليمه الأولي في تاغست ثم مادور فقرطاجة، ثم انتقل إلى روما بعدما فشل في علاقته الغرامية بموطنه، لم يعمد إلا في سن الثلاثة و الثلاثين، عند عودته تقلد عدة مناصب منها عرافا بميبون (عنابة) عام 391م، ثم أسقفا خلفا لفاليريوس عام 395م، لم يسق ربه المقام في مكان بل جال في الأمصار بهدف نشر المسيحية و الرد على خصومه، مما سقاه إلى الشهرة. للمزيد من المعلومات عد إلى: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص.213.

24- ظهرت الحركة الدوناتية عام 305 م نسبة إلى اكبر أعلامها دوناتوس، وهي حركة مناهضة للسلطة الرومانية ومن كان في صفها، لان الإمبراطورية الرومانية استغلت المسيحية التي كان الضعفاء هم وقودها في البدء، ومن ذلك اتضحت الخلفية الريفية لهذه الحركة المتمردة على السلطة والأساقفة الذين أدوا ولائهم لها، فلقد جمعت مناضلين من

المتذمرين على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المزرية، ولذا يكممننا القول بالصبغة السياسية للحركة للمزيد من المعلومات انظر: محمد المبكر، م.، المرجع السابق، ص.85.

25- محمد المبكر، المرجع السابق، ص ص. 85-.87

26- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص..157

27- بشاري محمد الحبيب، أوضاع الإمبراطورية الرومانية في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي ثورة جيلدون 398/397، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، مصر، العدد 13، ب.س، ص.247.

28- محمد المبكر، المرجع السابق، ص. .86

29- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص ص. 156، .157

30- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1992، ص ص.222، 223.

31- محمد البشير شنيتي، سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا (146 ق.م- 40م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982، ص.29.

32- عبد القادر صحراوي، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46 ق.م- 284 م، دار الهدى عين مليلة، 2011، ص.16

33- عمار محجوبي، شمال إفريقيا: العصر الروماني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات إفريقيا القديمة، جان افريك اليونيسكو، ص.476.

34-Haouaria Kadra-Hadjadji, Op. Cit, p. 28.

35- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الجزء الأول، المركز الثقافي للكتاب الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2018، ص.87.

36- Salluste, Op.cit, LXXXI.

37- محمد الصغير غانم، بعض من ملامح ثورات الاستعمار الروماني خلال القرن الأول ميلادي (ثورة تاكفاريناس نموذجا)، حولية المؤرخ، الجزائر، العدد الأول، ، 2002، ص ص.16، 17.

38- نفسه، ص..25

39- العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص ص. 36، .37

40- محمد المبكر، المرجع السابق، ص. .30

41- العود محمد الصالح، المرجع السابق، ص. .45

42- شارل أندري جوليان، ص. .302

43- أحمد علي الناصري، تحليل المجتمع الروماني إبان القرنين الرابع والخامس وأسباب سقوط الإمبراطورية، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، الجزائر، 2016، ص.40، 53.

44- بشاري محمد الحبيب، ثورة جيلدون، مجلة أبحاث ودراسات تاريخية وأثرية، الجزائر، 2016، ص.150.
45- حارش، م. هـ.، "ثورة فيرموس 372-375 م"، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، 1993، ص . 38.